

تفسير ابن كثير

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ^ج اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

يقول تعالى مخبرا عن صفات قوم من [المكذبين] الذين يدعون الإيمان بالسنتهم ، ولم

يثبت الإيمان في قلوبهم ، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا ، اعتقدوا أن هذا من

نقمة الله تعالى بهم ، فارتدوا عن الإسلام ؛ ولهذا قال : (ومن الناس من يقول آمنا بالله

فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . قال ابن عباس : يعني فتنته أن يرتد

عن دينه إذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ . وكذا قال غيره من علماء السلف . وهذه الآية كقوله تعالى :

(ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب

على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) [الحج : 11] . ثم قال :

ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) أي : ولئن جاء نصر قريب من ربك - يا

محمد - وفتح ومغانم ، ليقولن هؤلاء لكم : إنا كنا معكم ، أي [كنا] إخوانكم في

الدين ، كما قال تعالى : (الذين يترصبون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن

معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) [النساء : 141] ، وقال تعالى : (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) [المائدة : 52] . وقال تعالى مخبرا عنهم ها هنا : (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) ، ثم قال تعالى : (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي : أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم ، وما تكنه ضمائرهم ، وإن أظهروا لكم الموافقة ؟